أصول في التفسير

المحاضرة السادسة

الشيخ/ د.محمد بن عبد العزيز الخضيري

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، مشاهدي الكرام مرحبًا بكم في حلقةٍ جديدةٍ من حلقات مجالس التفسير، أو شرح أصول في التفسير، لشيخنا محمد بن صالح العثيمين.

هذا المجلس هو المجلس السادس من مجالس شرح هذا الكتاب المبارك، وأسأل الله -سبحانه وتعالى- أن ينفعنا به، وكنا قد بدأنا الحديث عن جمع القرآن الكريم، وتحدثنا عن أن جمع القرآن يتضمن جمع القرآن أي تلاوته، أي جمعه في الصدور، وبينَّا معنا ذلك، وأنه أول نوعٍ من أنوع علوم القرآن، ثم انتقلنا بعد ذلك إلى جمعه بمعنى كتابته، وبينا أنه مر بثلاث مراحل، في المرحلة الأولى كانت في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم-، حيث كان النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما يوحى إليه، يأمر واحدًا من كتبة الوحي، أن يكتب ما أوحي إليه، وكان من أكثرهم في ذلك زيد بن ثابت -رضي الله تعالى عنه-، وكان الصحابة يكتبون ما يمليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عليهم من الوحي، ثم يؤخذ ذلك الذي كُتب فيُجمع عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم.

وتوفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو لم يُجمع في مصحفٍ واحدٍ، وكان الصحابة يكتبون ما يسمعونه من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وما يعلمهم إياه، فكان لكل واحدٍ من الصحابة مصحفٌ خاصٌ به، هذا عنده سبعون سورةً، وهذا عنده ثمانون سورةً، وهذا عنده عشر سورٍ، وهلم جرا.

ثم جاءت المرحلة الثانية، وهي التي سنبدأ بها في هذا اللقاء، وهي جمع القرآن في عهد أبي بكر، فدعونا نستمع إلى ما قاله الشيخ -رحمه الله- في كتابه أصولٌ في التفسير.

{الحمد لله، وصلى الله وسلم على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد، فاللهم اغفر لنا ولشيخنا، وللحاضرين، والمستمعين، وجميع المسلمين.

قال -رحمه الله: المرحلة الثانية: في عهد أبي بكر -رضي الله عنه- في السنة الثانية عشرة من الهجرة، والسبب هو أنه قُتل في واقعة اليمامة عددٌ كبيرٌ من القراء، منهم سالم مولى أبي حذيفة، أحد من أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بأخذ القرآن منه، فأمر أبو بكر -رضي الله عنه- بجمعه؛ لئلا يضيع، ففي صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أشار على أبي بكر -رضي الله عنهما- بجمع القرآن بعد واقعة اليمامة، فتوقف تورعًا، فلم يزل عمر -رضي الله عنه- يراجعه حتى شرح الله صدر أبي بكر لذلك، فأرسل إلى زيد بن ثابت، فأتاه وعنده عمر، فقال له أبو بكر: إنك رجلٌ شابٌ عاقلٌ، لا نتهمك، وقد كنتَ تكتب الوحي لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فتتبع القرآن

فاجمعه، قال: فتتبعتُ القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر -رضي الله عنهما-، رواه البخاري مطولًا.

وقد وافق المسلمون أبا بكر على ذلك، وعدوه من حسناته، حتى قال عليٌّ -رضي الله عنه: أعظم الناس في المصاحف أجرًا أبو بكر رحمة الله على أبي بكر، هو أول من جمع كتاب الله}.

إذن أول من جمع القرآن بعد أن كان متفرقًا هو أبو بكر -رضي الله عنه-، وكانت قصة هذا الجمع كما ذكر هذا المؤلف هنا من هذا الحديث الذي رواه البخاري مطولًا، أن الناس بعدما غزوا المغازي في عهد أبي بكر لقتال المرتدين، استحر القتل في قراء القرآن، فمات منهم خلقٌ كثيرٌ، فتنبه عمر بفطنته، وما أوتي من الذكاء واستشراف المستقبل، بأن هذا الأمر قد يؤثر على من يضبطون القرآن ويحفظونه.

طبعًا لا شك عندنا أن الله -سبحانه وتعالى- سيحفظ هذا الكتاب ولن يضيع منه شيءٌ، ولكن نحن مطالبون بأن نقوم بدورنا في حفظ هذا الكتاب، وإلا فالله -سبحانه وتعالى- قادرٌ على حفظه من دون أن يكون هناك شيءٌ من هذه الأسباب التي بأيدينا نحن.

فجاء عمر -رضي الله عنه- إلى أبي بكر فأشار عليه بأن يُكتب القرآن كله في مصحفٍ واحدٍ، قبل أن يموت آخرون من القراء الذين يحفظون القرآن، ويضبطونه عن ظهر قلبٍ.

فقال أبو بكر: كيف أفعل شيئًا لم يفعله رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فمازال عمر يراجعه، ويبين له أن هذا خيرٌ، وأن فيه حفظًا لكتاب الله -عزَّ وجلَّ- من الضياع، وعدم ورود أي شكٍ على شيءٍ من كتاب الله -عزَّ وجلَّ- مادام القراء متوافرين.

وبالفعل شرح الله صدر أبي بكر لهذا الأمر، فاقترحوا أن يتولى هذا الأمر زيد بن ثابت، الذي كان هو أكثر كتاب الوحي، وأقربهم من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وكان شابًا قوي الذاكرة، ورعًا، يخاف الله -سبحانه وتعالى-، ومارس الكتابة بين يدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأخذ هذا الأمر، وتلقاه عنه مباشرةً، بل إن زيدًا كان ممن تلقى عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- العرضة الأخيرة مرتين، وهذه ميزةٌ لزيدٍ لم تكن لغيره من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم.

وقال له أبو بكر: إنك شابٌ عاقلٌ لا نتهمك، ففيه الشباب، وفيه العقل، وفيه أنه ليس فيه محلٌ للتهمة، وهذا ما حدث بالفعل، زيد بن ثابت -رضي الله عنه-، فإنه لما سمع هذا الكلام استنكر كما استنكر أبو بكر قبله، قال: كيف تفعلون شيئًا لم يفعله رسول الله -صلى الله عليه وسلم؟ فقال له أبو بكر: إنه خيرٌ، ومازال يراجعه، قال: حتى شرح الله صدري لما شرح له صدر أبي بكر -رضي الله تعالى عنه.

وقال زيد -وهذا يدل على ورعه: فوالله لو كلفوني بنقل جبلٍ لكان أخفَّ عليَّ وأهون من أن أتولى هذه المهمة العظيمة، وهي كتابة القرآن وجمعه.

فما هو الذي فعله أبو بكر لكي يُجمع القرآن؟

أمر عمر -رضي الله تعالى عنه- وزيدًا أن يجلسا عند باب المسجد، وأن يُنادى في الناس، من كان عنده شيءٌ من كتاب الله فليأتِ به.

القرآن محفوظٌ، لم يضِع منه شيءٌ ولله الحمد والمنة، لكن كانوا يريدون ألا يكتبوا شيئًا إلا وهو منقولٌ مما كُتب بين يدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، فكان الرجل يأتي بالرقعة، ويأتي بالقصاصة، أو الكتف وفيه آياتٌ من كتاب الله -عزَّ وجلَّ-، أو سورةٌ، أو غير ذلك، فيأتي بشاهديْن على أن هذا قد كُتب بين يدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، من أجل التثبت الكامل في ألا يُضاف إلى كتاب الله شيءٌ ليس منه، ومن أجل ألا يدخل في القرآن شيءٌ مما هو من التفسير الذي كان بعض الصحابة يضيفه إلى مصحفه، ولا يقبلون في ذلك ما تلقاه الرجل من أحدٍ من الصحابة، أو كتبه من حفظه، وإنما كُتب بين يدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فجُمع على هذا النحو الدقيق، لابد أن يكون مكتوبًا بين يدي رسول الله، وأن يكون هذا المكتوب معه شاهدان يشهدان على أنه قد كُتب على هذه الصفة.

قال زيد: فقدنا آيتين من سورة براءة، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ [التوبة: ١٢٨، ١٢٩]، يعني الآيتان موجودتان، لكن يريدون شاهدين عليها مما كُتب، لأن أسلوب الضبط، أو طريقة الضبط التي اقترحت كانت في أعلى درجات الإتقان والدقة.

قال: فجاء بها أبو خزيمة الأنصاري، وكان أبو خزيمة ممن أجاز النبي -صلى الله عليه وسلم- شهادته، وجعلها بشهادة رجلين، فقبلها زيد -رضي الله تعالى عنه- وكانت آخر شيءٍ خُتم به ما كُتب، أو ما وثِّق من المصحف في عهد أبي بكر -رضي الله تعالى عنه.

ما هي مميزات هذا الجمع الذي فعله أبو بكر؟

هذا الجمع الذي فعله أبو بكر، أولًا: تميز بالدقة على النحو الذي ذكرناه، ثم إن الصحابة أجمعوا عليه، فلم يختلفوا في شيءٍ منه، ولذلك لم يحصل أي خلافٍ بين الصحابة في هذا الأمر الذي فعله أبو بكر، بل إنهم جميعًا غبطوه، ومنهم عليٌّ بن أبي طالب -رضي الله تعالى عنه- الذي قال في ذلك: أعظم الناس أجرًا في المصاحف أبو بكر رحمة الله على أبي بكر، هو أول من جمع كتاب الله، وإني والله في هذا المقام لأغبط هذا الصحابي الجليل على هذه النعمة العظيمة التي حباه الله إياها، حيث جمع كتاب الله -عزَّ وجلَّ-، وجعله في مكانٍ واحدٍ، بعد أن كان متفرِّقًا، فما من أحد يقرأ القرآن إلا ولأبي بكر في رقبته منَّة، وهذا أحد الأسباب التي جعلت لأبي بكر هذه المكانة العالية الرفيعة، حتى إنه أفضل هذه الأمة وأفضل رجلٍ بعد النبيين، هو أبو بكر -رضي الله تعالى عنه.

الأمر الثاني مما تميز به جمع أبي بكر: أنه أُهمل منه ما نُسخت تلاوته، فجميع ما نُسخت تلاوته لم يُذكر، كيف عرفنا ذلك؟ عرفنا من أن الذي جمعه الصحابة، أو جُمع في عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- كان فيه شيءٌ مما هو منسوخ التلاوة، بدليل حديث عائشة -رضي الله تعالى عنها- لما قالت: كان

فيما أُنزل: "عشر رضعاتٍ معلوماتٍ يحرمن" ثم نُسخن بـ"خمس رضعاتٍ معلوماتٍ يحرمن" فتوفي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهن مما يُتلى في كتاب الله، فدل ذلك على أن هذه الخمس رضعاتٍ كانت موجودةً، علمًا بأن الخمس رضعاتٍ مما نُسخت تلاوته، ففي عهد أبي بكر جُرِّد القرآن من جميع ما نُسخت تلاوته، ولم يبق فيه إلا الذي أُقر على العرضة الأخيرة.

الثالث مما تميز به جمع أبي بكر: أن هذا الجمع كان على ما ثبت في العرضة الأخيرة من الأحرف السبعة.

الرابع من مميزات جمع أبي بكر: أنه كان مرتب الآيات، واختلف في السور، هل رتِّبت في عهد أبي بكر أو كان ذلك في عهد عثمان -رضي الله تعالى عنه.

ثم إن أبا بكر لم يفعل من هذا الكتاب، أو من هذه النسخة إلا نسخةً واحدةً، ولم ينزع النسخ التي بأيدي الصحابة، على خلاف ما سيفعله عثمان، فأقر بيد الصحابة كل ما كان بأيدي الصحابة جميعًا -رضي الله عنه.

ومن مميزات جمع أبي بكر: أنه لما جمع هذا في مكانٍ واحدٍ، وفي جلدٍ واحدٍ، قال للناس: ماذا نسميه؟ سموا هذا؟ فقال بعضهم: نسميه السِّفر، قال بعضهم: نسميه المصحف، فإنهم يطلقون عليه في لسان الحبشة المصحف، فأمر أبو بكر أن يسمى المصحف، فأول من سمى ما جُمع بين اللوحين أو بين الدفتين بالمصحف هو أبو بكر -رضي الله تعالى عنه-، وقبل ذلك ماذا كان يسمى؟ قلنا أصلًا قبل ذلك لم يكن موجودًا، لم يكن هناك شيءٌ اسمه مصحفٌ، وإنما كان هناك قرآنٌ محفوظٌ في الصدور، وقرآنٌ مكتوبٌ في السطور، ولم تكن هذه

السطور مجموعةً بين لوحين، وإنما مفرَّقةٌ، قطعةٌ منه في شيءٍ من الأحجار، وشيءٍ آخر في الأكتاف، وشيءٍ في الجلود، وشيءٍ هنا، وشيءٍ هنا، ولم يكن في كتابٍ واحدٍ جامعٍ بين دفتين أو لوحين.

فهذه مميزات جمع هذا المصحف.

أين ذهب هذا المصحف؟

هذا المصحف بقي عند أبي بكر -رضي الله تعالى عنه-، فلما توفي -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- أخذه عمر، فبقي عنده، فلما توفي عمر -رضي الله تعالى عنه- أو قُتل، وضع عند أم المؤمنين حفصة بنت عمر زوج النبي -صلى الله عليه وسلم-، وبقي عندها، ثم أخذه عثمان لينسخ منه مصحفه الذي كتبه، كما سيتبين بعد قليلٍ، ثم رده إليها، فبقي عندها حتى ماتت، فلما توفيت، ورجعوا من دفنها، قال مروان بن الحكم لابن عمر: عزمت عليك إلا أتيتني بالمصحف الذي عند حفصة، فجاء به ابن عمر، وسلمه لمروان، فأحرقه مروان؛ لأن مروان خشي أن يقارن الناس بين المصحف الذي كان في عهد أبي بكر، والمصحف الذي في عهد عثمان وبينهما شيءٌ من الاختلاف، كيف الاختلاف؟ لأن هذا الذي فعله أبو بكر على ما كان في العرضة الأخيرة، وعلى ما كان باقيًا من الأحرف السبعة، وأن ما كان في عهد عثمان -كما سيتبين لنا- فهو جمع الناس على حرف قريش من الأحرف السبعة، وجميع الأحرف السبعة التي لا تتسق مع حرف قريش أُزيلت، فقوله مثلًا: قل تعالوا، قل هلموا، قل أقبلوا، هذه كلها ذهبت، وبقي ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وأزيلت

تلك الأحرف التي كان بعضها موجودةً في مصحف أبي بكر، فربما جاء إنسانٌ، وقال: تعالوا يا ناس نقارن بين مصحف عثمان ومصحف أبي بكر، فتعود المشكلة مرةً أخرى في اختلاف الناس في كتاب الله، فأراد مروان أن يقطع دابر الاختلاف من أصله، فأحرق هذه الصحف في ذلك الوقت.

{المرحلة الثالثة: في عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، في السنة الخامسة والعشرين، وسببه اختلاف الناس في القراءة، بحسب اختلاف الصحف التي في أيدي الصحابة -رضي الله تعالى عنهم-، فخيفت الفتنة، فأمر عثمان -رضي الله عنه- أن تُجمع هذه الصحف في مصحفٍ واحدٍ؛ لئلا يختلف الناس فيتنازعوا في كتاب الله تعالى ويتفرقوا.

في صحيح البخاري أن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- قدِم على عثمان -رضي الله عنه- من فتح أرمينية وأذربيجان، وقد أفزعه اختلافهم في القراءة، فقال: يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، ففعلت، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصحف، وكان زيد بن ثابت أنصاريًّا، والثلاثة قرشيين.

وقال عثمان للرهط الثلاثة القرشيين: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيءٍ من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفقٍ

بمصحفٍ مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفةٍ، أو مصحفٍ أن يُحرق، وقد فعل عثمان -رضي الله عنه- هذا بعد أن استشار الصحابة -رضي الله عنهم-، لما روى ابن أبي داود عن عليٍّ -رضي الله عنه- أنه قال: والله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأٍ منا، قال: أرى أن نجمع الناس على مصحفٍ واحدٍ، فلا تكون فرقةً ولا اختلافًا، قلنا: فنعم ما رأيت.

وقال مصعب بن سعد: أدركتُ الناس متوافرين حين حرَّق عثمان المصاحف، فأعجبهم ذلك، أو قال: لم ينكر ذلك منهم أحدٌ، وهو من حسنات أمير المؤمنين عثمان -رضي الله عنه- التي وافقه المسلمون عليها، وكانت مكملةً لجمع خليفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أبي بكر -رضي الله عنه-، والفرق بين جمعه وجمع أبي بكر -رضي الله عنهما- أن الغرض من جمعه في عهد أبي بكر -رضي الله عنه- تقييد القرآن كله مجموعًا في مصحفٍ؛ حتى لا يضيع منه شيءٌ دون أن يحمل الناس على الاجتماع على مصحفٍ واحدٍ، وذلك أنه لم يظهر أثر الاختلاف في قراءاتهم، ما يدعو إلى حملهم على الاجتماع على مصحفٍ واحدٍ.

وأما الغرض من جمعه في عهد عثمان -رضي الله عنه- فهو تقييد القرآن كله مجموعًا في مصحفٍ واحدٍ، يحمل الناس على الاجتماع عليه لظهور الأثر المخيف، اختلاف القراءات، وقد ظهرت نتائج هذا الجمع، حيث حصلت به المصلحة العظمى للمسلمين من اجتماع الأمة، واتفاق الكلمة، وحلول الألفة، واندفعت به مفسدةٌ كبيرةٌ من تفرق الأمة، واختلاف الكلمة، وفشوّ البغضاء

والعداوة، وقد بقي على ما كان عليه حتى الآن، متفقًا عليه بين المسلمين، متواترًا بينهم، يتلقاه الصغير عن الكبير، لم تعبث به أيدي المفسدين، ولم تطمسه أهواء الزائغين، فلله الحمد رب السماوات ورب الأرض، رب العالمين}.

نعم، قلنا إن أبا بكر جمع القرآن، يعني هذا الذي كان متفرِّقًا، في مصحفٍ واحدٍ، لكنه لم يجمع عليه الناس بمعنى أن يأمرهم بتلاوته على نحوٍ معينٍ، فما الذي حصل؟

كان الصحابة -رضوان الله عليهم- كل واحدٍ يذهب إلى مصرٍ يقرئ الناس بما تلقى عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وكان بعضهم يُقرئ بالأحرف التي تلقاها عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وقد يكون شيءٌ منها يعني من الأحرف أو ما كان مما يُقرئونه الأحرف السبعة التي أُذن للنبي -صلى الله عليه وسلم- أن يُقرئ بها القرآن.

هؤلاء الصحابة كانوا يدركون أن هذا جائزٌ، وهذا جائزٌ، وهذا جائزٌ، ولذلك لا خوف من الخلاف بينهم، ولكن الخلاف سيحدث في من يقرأون عليهم ممن لا عمق عندهم في هذا الأمر، فماذا حصل؟

صار هؤلاء الأتباع يجتمعون فيقرأ هذا، ويقرأ هذا، ويختلفون في القراءة، وصار هذا محلًا للخلاف بينهم، هذا يُنكر على هذا، وهذا يقول: لم نقرأ بهذا، وهذا يقول: هذا مختلفٌ عما عندنا، وإذا تقدم أحدهم من تلاميذ عبد الله بن مسعود، وقرأ بين الناس، رد عليه رجلٌ آخر من تلاميذ مثلًا أبي الدرداء أو غيره من الصحابة، فبدر للصحابة أن هذا الأمر سيكون سببًا لنشوب خلافٍ بين

الناس لعدم علمهم بحقيقة هذا الخلاف الموجود في كتاب الله -عزَّ وجلَّ-، واطلع على هذا الأمر حذيفة بن اليمان عندما كان في بلاد فارس، ورأى اختلاف الناس، فعزم على أن يأتي إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ويخبره بما رآه، ووجد أن عثمان قد أدرك هذا الأمر؛ لأنه رأى شيئًا من هذا الاختلاف بين الصحابة في المدينة، ورأى أن أبناء الصحابة بدءوا يختلفون هذا الاختلاف تبعًا لتلقيهم للقرآن عن آبائهم، فكل واحدٍ يتلقى عن أبيه شيئًا يقرأه لآخرين، قد يكون هذا الذي يُقرئه للناس يختلف عما أقرأه آخرون إلى آخره.

فقال: إنكم عندي هنا تختلفون، فما كان بعيدًا مني فهو أشد اختلافًا، وإذا عزم عليهم أن من كان عنده شيءٌ من القرآن أن يأتي به، فجاء الناس بما عندهم من المصاحف، ثم أرسل إلى حفصة أن ائتني بالمصحف الذي عندك، وهو مصحف أبي بكر، ثم كوَّن اللجنة المكونة من زيد بن ثابت، وسعيد بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فزيد هذا أنصاريٌّ، والثلاثة الباقون من قريشٍ، فإنه سأل عثمان كان لا يتحرك أو يتصرف في هذا الأمر إلا بعد مشورةٍ من كبار الصحابة، قال: من أكتبُ الناس؟ قالوا: زيد، يعني أكثرهم كتابة للوحي، قال: إذن لابد هذا يكون من اللجنة، قال: من أعربُ الناس؟ يعني أكثرهم فصاحةً، وقوةً، وتمكنًا في عربيته، قالوا: سعيد بن العاص، فالمهم رُشِّحَ ثلاثةٌ من قريشٍ، وواحدٌ من الأنصار، وهو زيد بن ثابت، ثم جمعهم عثمان وقال: اكتبوا القرآن بلسان قريشٍ، فإنهم نزل بلسانها، وقال: إذا اختلفتم أنتم وزيد في شيءٍ، فاكتبوه بلسان قريش، فكان سعيد يملي، وزيد يكتب،

وهؤلاء يحررون هذه المصاحف التي بين أيديهم، على اعتبار أن أي كلمةٍ تحتمل قراءتيْن وهي برسمٍ واحدٍ، تُثبت، بحيث تكون محتملةً للقراءتين، فمثلًا، "ننشرها"، و "ننشزها" تكتب غير منقوطةٍ، فتصلح لهذه ولهذه، و"ملك" و"مالك" تكتب "م ل ك" ويُشار في أحد المصاحف بألفٍ يسيرةٍ بعد الميم، وفي الثاني تبقى كما هي، وفي قوله: "فتبينوا" "فتثبتوا" تُقرأ هنا "فتبينوا" وتُقرأ هنا "فتثبتوا"، أما إذا كانت القراءة متواترةً وثابتةً في العرضة الأخيرة، ولا تحتملها الكتابة، إما أن تُكتب هكذا، أو تُكتب هكذا، فإن عثمان يأمر بأن تُكتب في أحد المصاحف على وجهٍ، وتُكتب على المصحف الآخر على وجهٍ، مثلًا ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، الواو ماذا نفعل بها في "سارعوا" وفي "وسارعوا"؟ هل نستطيع يا عثمان أن نُلغي الواو وننتهي من المشكلة؟ لا، مادام ثبت فيجب أن نبقيه حفاظًا على ما ثبت من كلام الله -عزَّ وجلَّ- في العرضة الأخيرة، وهو متواترٌ.

إذن ماذا نفعل به؟

قال: اكتبوا هذا في مصحفٍ، واكتبوا هذا في مصحفٍ؛ لكي يبقى ما نزل من كتاب الله على ما هو عليه، ولا نغيِّر شيئًا مما وصل إلينا.

ومن ذلك على سبيل المثال: قول الله -عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾، ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾، ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ [الشمس: ١٤، ١٥] ، هذا عندنا في مصحفنا، وفي قراءة أخرى:

﴿فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾، هل تُكتب "ولا" أو "فلا"؟ ماذا فعل عثمان لحل هذه المشكلة؟

أمر أن تُكتب في مصحفٍ "فلا" وأمر أن تُكتب في مصحفٍ "ولا"، وبقيت هاتان القراءتان لأنهما مما ثبت في العرضة الأخيرة، وهو موافقٌ للسان قريشٍ، وما أراد عثمان أن يزيل شيئًا مما ثبت في العرضة الأخيرة، وهو متواترٌ، وموافقٌ للسان قريشٍ، ولأجل هذا نجد أحيانًا اختلافًا بين قراءتين بزيادة حرفٍ أو حرفين، ونقصها من القراءة الأخرى، هذا من اختلاف المصاحف، وهو مما أقره الصحابة.

كم أمر عثمان أن يُنسخ من المصاحف؟

أمر أن تُنسخ، قيل أربعةٌ، وقيل خمسةٌ، وقيل ستةٌ، وقيل سبعةٌ، وأشهر الأقوال التي عليها أكثر العلماء أنها خمسةٌ، فمصحفٌ أبقاه في المدينة، وهو مصحف الإمام، ومصحفٌ بعثه إلى الكوفة، وثالثٌ بعثه إلى البصرة، ورابعٌ بعثه إلى الشام، والخامس بعثه إلى مكة، وبعث مع كل مصحفٍ رجلًا يُقرئ الناس بذلك المصحف، فصار الناس يتلقون ذلك المصحف من ذلك الرجل ويقرؤون بقراءته، ومن هنا جاء اختلاف الناس في القراءات السبع، التي هي ألوانٌ من القراءة على ما كتبه عثمان في الحرف الذي أقره في هذه المصاحف، فهي وجوه الاختلاف.

فمثلًا القارئ الذي ذهب إلى مكة مثلًا قرأ بوجوهٍ معينةٍ، تلقاها الناس منه، وبقيت فيهم، فصارت هذه قراءة المكيين، والقارئ الذي ذهب الكوفة، قرأ على نحوٍ معينٍ، موافقٍ لرسم المصحف الذي معه، فثبتت القراءة على ذلك، واستمر

هذا يتناقل شيئًا فشيئًا، حتى ثبتت هذه القراءات، ولم يضِع مما كتبه عثمان وأقره الصحابة شيء بعد ذلك.

ما هي مزايا هذه الكتابة التي قام بها عثمان -رضي الله تعالى عنه؟

أولًا: أنه كُتب على واحدٍ من الحروف السبعة.

ثانيًا: إهمال ما نُسخت تلاوته، كما فُعل في عهد أبي بكر -رضي الله تعالى عنه.

ثالثًا: اقتصروا على ما ورد في العرضة الأخيرة.

رابعًا: اقتُصر على القراءات الثابتة المعروفة، وأما لم يُعرف، أو لم يكن متواترًا، فإنه قد أُزيل.

أيضًا مصحف عثمان رُتِّبت فيه الآيات والسور، فالذي بين أيدينا الآن بهذا الترتيب، هو ترتيب المصحف الذي أقرَّه عثمان -رضي الله تعالى عنه- وَنُسِبَ إليه، فيُقال: الرسم العثماني، أي على هذا المصحف، ومصحف عثمان، يُراد منه بهذا الترتيب على هذا النسق، هذا من فِعْل عثمان -رضي الله تعالى عنه.

وهنا يأتي سؤالٌ: هل الصحابة خالفوا عثمان فيما فعل؟

لم يخالفوا عثمان، بل جميعهم أثنى على عثمان في فعله، وشكروه على هذا الأمر الذي فعل.

فإن قيل إن عبد الله بن مسعود أنكر هذا الأمر، وغضب مما حصل، فيقال: إن الذي حصل من عبد الله بن مسعود كان شأنًا شخصيًّا؛ لأنه كان يرى من

نفسه -رضي الله عنه- وهو حقيقٌ بذلك، يرى أنه أحق من بعض من عُيِّنَ ورشِّح لكتابة المصحف، وقال: إن بعضهم يوم أن أسلمتُ لم يكن في صلب أبيه الكافر، كأن ابن مسعود يقول: أنا أولى؛ لأني تلقيت كثيرًا من كتاب الله عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فكيف أُزاح عن هذا الأمر العظيم، ويُقدَّم غيري؟ ولكن الصحابة -رضوان الله عليهم- عتبوا على عبد الله بن مسعود أنه فعل ذلك؛ لأن القضية لم تكن لهذا الاعتبار، وإنما أراد عثمان -رضي الله تعالى عنه- أن يتولى هذا العمل شبابٌ، مشهودٌ لهم بالقوة، والضبط، والحفظ، والإتقان، وليس تنقيصًا في قدر عبد الله بن مسعود، ولكن هنا من هو أضبط، كما أنك الآن تجد مثلًا عالمًا متفننًا قويًا، قائمًا بالحق، ذا فضلٍ وشأنٍ، وتجد من الشباب من هو أكثر ضبطًا وإتقانًا لكتاب الله منه، ولا يعيب ذلك العالم، ولا يُنقص من مقداره شيئًا، لكن هذه مهاراتٌ، وفضائل يميز الله -سبحانه وتعالى- بها بعض العباد عن بعضٍ.

وقد رُوي أيضًا أن ابن مسعود فيما بعد رضي هذا العمل الذي عمله عثمان -رضي الله تعالى عنه-، وأقره، فزال بذلك أيُّ إشكالٍ في أن يكون أحدٌ من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد أنكر ما فعله عثمان، أو لم يرض شيئًا منه مما كان، ولذلك ذكر المؤلف هنا -رحمه الله- أن عثمان استشار الصحابة، يقول عليٌّ -رضي الله عنه: والله ما فعل عثمان في المصاحف إلا عن ملأٍ منا، أي عن اجتماعٍ منا، نحن أقررنا ذلك، وكان ذلك بمشورتنا، ورأينا

واختيارنا، وقال: أرى أن نجمع الناس على مصحفٍ واحدٍ، فلا تكون فرقةٌ، ولا اختلافٌ، قلنا: فنعم ما رأيت.

وقال مصعب بن سعد: أدركت الناس متوافرين حين حرَّق عثمان المصاحف، فأعجبهم ذلك، وهذه حكاية للإجماع.

أو قال: لم ينكر ذلك منهم أحدٌ، هذا أيضًا أسلوبٌ آخر في حكاية الإجماع على فعل عثمان، فلا يجوز لأحدٍ بعد ذلك أن يقول إن القرآن حصل فيه اختلافٌ، أو أنه لم يكن برضًى من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، أو إن هذا تصرفٌ من عثمان وحده، واجتهادٌ منه، فيجوز مخالفته، أو يأتي من يقول إن هذا المصحف الذي جمعه عثمان لم يكن كل المصحف الذي بأيدي الصحابة، بل كان هناك آياتٌ وسورٌ، أمسكها بعض الصحابة لم تدخل في المصحف، فيُقال: هذا أبدًا لا يكون، والذي جمعه عثمان هو المصحف الذي تركنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عليه، لم يفتْ علينا منه، لا أقول آيةٌ، بل ولا حرفٌ.

ولذلك قال: وهو من حسنات أمير المؤمنين عثمان، التي وافقه المسلمون عليها، وكانت مكملةً لجمع أبي بكر -رضي الله تعالى عنه وأرضاه ورضي عنهم جميعًا.

والفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان: أن الغرض من جمعه في عهد أبي بكر تقييد القرآن كله مجموعًا في مصحفٍ فقط، حتى لا يضيع منه شيءٌ مما كُتب.

وأما فكرة جمع عثمان، فهي أن يُجمع الناس على القراءة به على نحوٍ معينٍ، ويتفقوا على هذه القراءة، فلا تتفرَّق بهم الأحرف، ولذلك قالوا: وأما الغرض من جمعه في عهد عثمان -رضي الله عنه- فهو تقييد القرآن كله مجموعًا في مصحفٍ واحدٍ، يُحمل الناس على الاجتماع عليه لظهور الأثر المخيف، باختلاف القراءات، هذا يقرأ بكذا، وهذا يقرأ بكذا، وقد تكون إحدى القراءتين مما نُسخ، أو مما أُهمل، ولم يكن في العرضة الأخيرة.

وقد ظهرت نتائج هذا الاجتماع، حيث اجتمع المسلمون ولله الحمد، ولذلك الآن لو أراد أحدٌ أن يزيد أو يغيِّر، أو يبدِّل شيئًا من هذه القراءات لأنكر عليه الناس، صغيرهم قبل كبيرهم، وهذا ولله الحمد من حفظ الله لكتابه، واستقر الأمر على ذلك.

{قال -رحمه الله: التفسير}.

بعدما تحدث المؤلف عن عددٍ من الموضوعات المهمة في علوم القرآن، انتقل إلى بعض القضايا المهمة في التفسير، وذلك لأن التفسير هو أهم علوم القرآن، لأننا لا نستطيع أن ننتفع بالقرآن، إلا إذا عرفنا تفسيره، فأراد الشيخ أن يقرر بعض القواعد والمسائل المهمة، التي نحتاجها لمعرفة هذا الفن، وهو فن التفسير، فعقد هذا الفصل لذلك.

{قال -رحمه الله: التفسير لغةً من الفسر، وهو الكشف عن المغطى، وفي الاصطلاح: بيان معاني القرآن الكريم.

وتعلُّم التفسير واجبٌ؛ لقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، ولقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

وجه الدلالة الأولى: أن الله تعالى بيَّن أن الحكمة من إنزال هذا القرآن المبارك، أن يتدبر الناس آياته، ويتعظوا بما فيها، والتدبر هو التأمل في الألفاظ للوصول إلى معانيها، فإذا لم يكن ذلك فأتت الحكمة من إنزال القرآن، وصار مجرد ألفاظٍ لا تأثير لها، ولأنه لا يمكن الاتعاظ بما في القرآن بدون فهم معانيه.

ووجه الدلالة من الآية الثانية: أن الله تعالى وبَّخ أولئك الذين لا يتدبرون القرآن، وأشار إلى أن ذلك من الإقفال على قلوبهم، وعدم وصول الخير إليها.

وكان سلف الأمة على تلك الطريقة الواجبة، يتعلمون القرآن ألفاظه ومعانيه؛ لأنهم بذلك يتمكنون من العمل بالقرآن على مراد الله به، فإن العمل بما لا يُعرف معناه غير ممكنٍ، وقال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرؤوننا القرآن، كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود وغيرهما: أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي –صلى الله عليه وسلم– عشر آياتٍ لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والعادة تمنع أن يقرأ قومٌ كتابًا في فنٍ من العلم كالطب والحساب، ولا يستشرحونه، فكيف بكلام الله تعالى الذي هو عصمتهم، وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم؟}.

بيَّن المؤلف في كلامه -رحمه الله- أن التفسير لغةً مأخوذٌ من الفسر، والفسر هو الكشف عن المغطى، تقول: فسرت عن كمي، يعني كشفت عن ما غُطِّيَ، وكلمة فسر وسفر من مادةٍ واحدةٍ، لكن غالب سفر تأتي في الأشياء المادية، وفسر تأتي في الأشياء المعنوية، فكشف الغامض يُقال من التفسير، وكشف الشيء المادي يُقال من السفور، يُقال سفرت المرأة أي كشفت عن زينتها.

وفي الاصطلاح: التفسير هو بيان معاني القرآن الكريم، فإذا بُيِّنت معاني كتاب الله -عزَّ وجلَّ- فهذا البيان يسمى تفسيرًا، والملاحظ هنا أن الشيخ -رحمه الله- كان يختار الكلمات الواضحة لبيان معنى الشيء، والدلالة على المقصود منه.

ثم ذكر الشيخ بعد ذلك أن تعلم التفسير واجبٌ، من أين أتى هذا الوجوب؟

قال: لقول الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، ما وجه الدلالة من الآية؟

وجه الدلالة من الآية: أن الله إنما أنزل هذا الكتاب من أجل أن يُتَدَبَّرَ حتى يُتذَّكر ويُعمل به، فإذا كان العمل به لا يمكن إلا عبر التدبر، الذي هو تفسير هذا القرآن، وفهمه، وإعمال الذهن فيه حتى يوصل إلى معناه الذي أراده مُنزِله به، فإن هذا الأمر يكون واجبًا؛ لأننا لا نصل إلى العمل به إلا عبر التدبر والتفسير، فوجب بذلك أن نتعلم التفسير؛ لأن القرآن ما أُنزل لتُحلى به المجالس، ولا لتُطرَّب به الأسماع، وإنما أُنزل ليكون محلًا للعمل، فكيف نعمل به؟ لا يمكن أن نعمل به حتى نفهمه، إذن ففهمه وتفسيره واجبٌ من هذه الآية.

وأيضًا من قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [محمد: ٢٤] جاءت هذه على وجه الذم لأولئك الذين لا يتدبرون القرآن، والذم لا يكون إلا على ترك واجبٍ، أو فعل محرَّمٍ، فدل ذلك على أن تفسير القرآن من الواجبات.

لكن هل معنى ذلك أنه يلزم كل مسلمٍ أن يفسِّر كل القرآن، ويقوم به؟

نقول: لا، يلزم العلماء الذين يُنتدبون لإفهام الناس كتاب الله -عزَّ وجلَّ-، هذا واجبٌ عليهم، ويلزم الناس من تفسير القرآن ما لا يتم دينهم إلا به، فيجب على كل إنسانٍ أن يعلم مثلًا معنى "لا إله إلا الله" وهي من كتاب الله ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، فما لا يتم دينك إلا به، من كتاب الله، يجب عليك أن تتعلمه، وما زاد على ذلك فهو مندوبٌ إليه بالنسبة لعموم الناس، وبهذا نعلم أنه فرض كفايةٍ، لكنه واجبٌ في الجملة.

فإن قلتَ: هل التفسير والتدبر شيءٌ واحدٌ؟

هذا الكلام فيه الحقيقة كثيرٌ، وأنا تطمئن نفسي إلى أن التدبر معنى يتضمن التفسير وغيره، التفسير والاستنباط والفهم الكلي الإجمالي من غير تفصيلٍ، كل ذلك يعتبر تدبرًا، فالمقصود بالتدبر ما أدبر عنه اللفظ، هذا اللفظ الذي نسمعه كل ما جاء بعده من معنى هو تدبرٌ، فمن تفهَّم الآية ففهم معناها الكلي، فهذا متدبرٌ، ومن فهمها على وجه التفصيل، فهذا مفسِّرٌ، ومن استنبط منها معاني، فهذا مستنبطٌ، ومستخرجٌ لمعانٍ من تفسير القرآن الكريم، وبهذا يُعلم أن التدبر أيسر من التفسير؛ لأن التفسير مرحلةٌ متقدمةٌ من التدبر، تحتاج لعددٍ من العلوم،

كاللغة، والآثار، والأحاديث النبوية، وأيضًا الناسخ والمنسوخ، والقراءات وغيرها، هذا كله يحتاجه المفسر.

أما المتدبر، الذي يريد تدبرًا كليًّا عامًا فإن القرآن قد أنزله الله -عزَّ وجلَّ- بيِّنًا سهلًا ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]، فما يسمعه أحدٌ يفهم كلام العرب، إلا ولابد أن ينتفع به، لكن لا يلزم من ذلك أن يفسره تفسيرًا تامًا كاملًا من جميع الوجوه، ولا يلزم أيضًا أن يستنبط منه معاني دقيقةً، وأشياء عميقةً، وإنما يكون ذلك للمتعمق فيه والمفسر له.

لكن هنا سؤالٌ: هل كل من تدبر حقٌّ له أن يتكلم بما تدبر به؟ أو بما وصل إليه؟

لا، الكلام فيما تفكرتَ فيه، أو فهمته، ونشر ذلك بين الناس، ليس متاحًا لكل أحدٍ، إنما يكون لمن أذن الله لهم أن يتكلموا بذلك، وهم أهل الذكر، أما أنت تقرأ وأنت حاضر الذهن، غير مشغول القلب، قد ألقيت سمعك لكتاب الله، بمجرد ما تفعل ذلك، أنت دخلت في اسم المتدبرين، بدليل قول الله -عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

ثم قال الشيخ بعد ذلك: وكان سلف الأمة على تلك الطريقة الواجبة، يقرؤون القرآن، ويتدبرونه ويتعقلونه، يتعلمون ألفاظه ومعانيه، خلافًا لما نحن عليه في هذا العصر، فنحن نجتهد في حفظ ألفاظه، وفي تجويده، وفي تعلم قراءاته، ولكن نتوقف عند تدبره، وعند تعلم معانيه، ولذلك وُجِدَ في المسلمين من يقرأ القرآن

ويقيمه إقامةً تامةً، ولكنه لا يفهم منه شيئًا، وهذا لاشك أنها مشابهةٌ لليهود والنصارى، الذين قال الله -عزَّ وجلَّ- فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٨]، يعني إلا تلاوةً مجردةً.

قال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرؤوننا القرآن، كعثمان بن عفان، وعبد الله بن مسعود وغيرهما: أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي -صلى الله عليه وسلم- عشر آياتٍ لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعًا.

فنحن نقول: من أراد أن يسلك الجادة التي كان عليها السلف الأول والصحابة والتابعون، فعليه أن إذا قرأ آيةً من كتاب الله أن يتفقه فيها، وأن يتعلم معناها، واليوم الحمد لله، وسائل التفسير، والسماع، والوصول إلى المعنى أصبحت ميسرةً، كُتب طُبعت، وآثار السلف بين أيدينا، ودروس العلماء موجودةٌ، فما الذي يمنعنا نحن من أن نقرأ الآيات، ثم نستمع إلى تفسيرها من شيخنا ابن عثيمين، من الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، من فلانٍ وفلانٍ المعروفين بعلم التفسير، ونفهم كلام الله، حتى نعبد الله على بصيرةٍ، ونتلذذ بكلام الله -عزَّ وجلَّ-، كان الطبري يقول: إني لأتعجب من إنسانٍ يقرأ كلام الله، كيف يتلذذ به وهو لا يفهم معناه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والعادة تمنع أن يقرأ قومٌ كتابًا في فنٍ من العلم كالطب والحساب، ولا يستشرحونه، فكيف بكلام الله تعالى الذي هو عصمتهم، وبه نجاتهم وسعادتهم وقيام دينهم ودنياهم؟.

{قال -رحمه الله: ويجب على أهل العلم أن يبينوه للناس عن طريق الكتابة أو المشافهة، لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وتبيين الكتاب للناس شاملٌ لتبيين ألفاظه ومعانيه، فيكون تفسير القرآن مما أخذ الله العهد على أهل العلم ببيانه، والغرض من تعلم التفسير هو الوصول إلى الغايات الحميدة، والثمرات الجليلة، وهي التصديق بأخباره، والانتفاع بها، وتطبيق أحكامه على الوجه الذي أراده الله؛ ليُعبد الله على بصيرةٍ}.

قال الشيخ: ويجب على أهل العلم أن يبينوه للناس، هذا مما يجب على أهل العلم، وهو بيان معاني هذا الكتاب للناس، سواءً عن طريق الكتابة، أو عن طريق الدروس والمحاضرات، أو عن طريق هذه الوسائل الإعلامية التي هيأها الله لنا لننشر بها معاني كلام الله -جلَّ وعلَا-، وأنا هنا من هذا المكان أوجه كلمةً لأهل العلم، وكل من كانت عنده قوةٌ وقدرةٌ على بيان معاني كلام الله، سواءً كنت إمامًا في مسجدٍ، أو خطيبًا في جامعٍ، أو مدرسًا في مدرسةٍ، أن تجتهد في بيان معاني كلام الله، فإن هذا الأمر قد أُهمل، وصار الناس يتهاونون فيه، فواجبٌ على أهل العلم أن يحييوه في الناس، وقد قال الله -عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وتبيين الكتاب يشمل تبيين ألفاظه، وتبيين معانيه، فيكون تفسير القرآن مما أخذ الله العهد على أهل العلم ببيانه.

ثم قال: الغرض من تعلم التفسير، هو الوصول للغايات الحميدة، والثمرات الجليلة، وهي: التصديق بأخباره، والانتفاع بها، وتطبيق أحكامه على الوجه الذي أراده الله -سبحانه وتعالى؛ لنعبد الله على بصيرةٍ، ولا شك -يا إخواني- أن من أجل العلوم وأعظمها وأكثرها ثمرةً وعودًا بالنفع على الإنسان، وعلى المجتمع، علم التفسير، فإن الناس إذا عادوا للقرآن وجدوا مائدةً فيها من كل شيءٍ، مما ينتفعون به في حياتهم، وأي شيءٍ أردته وجدته في كتاب الله، إذا أردت القضايا الاجتماعية، أو الاقتصادية، أو التعليمية، أو التربوية، أو الزوجية، أو السياسية، وجدتها في كتاب الله -عزَّ وجلَّ- مطروحةً ومعروضةً بأحسن ما يكون، فحريٌّ بنا جميعًا أن نرجع إلى كتاب الله، وأن نحيي هذا العلم بين الناس، وأن ندلهم عليه، وأن نهيئ الأسباب بوصول الناس إلى كتاب الله.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وإلى لقاءٍ مستمعي الكرام، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.